أن يرد سلطانها وتأثيرها على الآداب تلك المؤثرات الكبرى كالإسلام وغيره . . وإن كان يفهم من ذلك بطبيعة الحال أن التقاليد كانت أقوى من هذه المؤثرات وأن المؤثرات لم تغير من أمرها ما كان يرتجى . ومع هذا فلابد أن نمضى لنستكمل الصورة كما بدت ذلك فى نظر الناقد المؤرخ .

وهنا يقف الباحث عند ابن سلام وطبقات الشعراء وتقسيمه لهم إلى مجموعتين : جاهليين وإسلاميين :

فيرى أن « هذا تقسيم لم يكن منه مفر ، لأن الأمر لا يقف عند مجرد سير الزمان بل يعدوه إلى مضمونه ، وقد جاء الإسلام فأحدث فى حياة العرب ثورة روحية ومادية كانت لها آثارها البعيدة فى كل مظاهر نشاطهم – وإذن فاتخاذ الزمن أساساً للتقسيم أمر لم يكن منه بد ، بل إن فى ألفاظ ابن سلام نفسه ما يدل على أنه لم يقصد إلى هذا التقسيم ولم يفكر فيه بل أملته طبائع الأشياء ، وإنما كان تفكيره منصرفاً إلى توزيع شعراء العهدين فى طبقات تبعاً لجودة شعرهم وكثرته »[1] .

لقد عرضنا من قبل لنظرية ابن سلام هذه وموقف الباحثين منها . أما الذي نراه الآن من خلال تلك النظرة فى تاريخ النقد العربى وتطوره أن الباحث هنا يتفق مع ابن سلام فى هذا التقسيم دون أن يشير إلى طبقة المخضرمين على نحو ما مر بنا مما يختلف فيه ابن سلام عن ابن رشيق ، وفى هذا ما يدل على أن الدكتور مندور لم يكن يرى للاسلام تأثيراً يذكر . وإنما أخذ بفكرة غلبة القديم وسيطرة التقاليد على الشعر العربى مما لم يدع لغير هذا من الأحداث أن يعمل أثره مع إقراره بما كان للاسلام باعتباره ثورة روحية ومادية – من آثار بعيدة فى كل مظاهر نشاطهم . . وكأن

---

(١) النقد المنهجى ص ١٢ ،